Journal of Humanitarian and Applied Sciences - مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية
(رقم الإيداع المحلي 95 / 2020) - (ISSN: 2706- 9087) - (معامل التأثير العربي شهادة رقم: 472 - 2020)
كلية الآداب والعلوم قصر الأخيار - جـامعة المرقب
Volume 8 – Issue 15 المجلد 8 العدد 15

الأسواق في الحجاز قبل الإسلام

د. سالم عبد السلام عرفة
جامعة طرابلس كلية الآداب

Received: 02/01/2023	Accepted:01/03/2023

Markets in HIJAZ Prior to Islam

SALEM ABDUSSALEM ARAFA
University of Tripoli

Abstract:

Several factors combined to help in the increase of trade and the emergence of markets ni the HIJAZ region, including the religious status that the country of HIJAZ enjoyed through the presence of the Holy House of God, and the establishment of the QURAYSH on the affairs of HAJJ, This is what earned it respect and status among the Arab tribes, as QURAYSH was keen to preserve the unity of the tribe and solve problems that arise between members of the tribe by peaceful means, and build relations based on good neighborliness and common interest with other tribes, in addition to the geographical location of the HIJAZ region, which mediates the ancient land trade route. between Yemen and the Levant(SHAME).

The aforementioned factors combined and led to the flourishing of trade and the establishment of markets, whether permanent or seasonal, in the HIJAZ region. *The permanent markets are special markets for the people of the region, and no one goes to them from afar, and they are not dependent on their holding on a specific date or season, as they may be daily or weekly, such as the (AL- HAZORA) market ni Mecca and the (ZABALA) market in YATHRIB. As for seasonal markets, they are markets that held in a specific date or season. That is, it was held once a year. It is visited by people from everywhere and from different groups, including merchants, writers and poets, as it is considered a commercial, cultural, political and social meeting place, such as SOUK OKAZ.

الملخص:

تضافرت عدة عوامل ساعدت علي ازدهار التجارة ونشوء الأسواق في منطقة الحجاز، منها المكانة الدينية التي تمتعت بها بلاد الحجاز من خلال وجود بيت الله الحرام ، وقيام قريش على شؤون الحج، وهذا ما اكسبها احتراما ومنزلة بين القبائل العربية، كما حرصت قريش على الحفاظ على وحدة القبيلة وحل المشاكل التي تنشأ بين أفراد القبيلة بالطرق السلمية، وبناء علاقات مبنية على حسن الجوار والمصلحة المشتركة مع القبائل الأخرى ، فضلاً عن الموقع الجغرافي لمنطقة الحجاز الذي يتوسط طرق التجارة البرية القديمة بين اليمن والشام، لقد تضافرت العوامل المذكورة سابقًا وأدت إلى ازدهار التجارة وقيام الأسواق الدائمة والموسمية في منطقة الحجاز، فالأسواق الدائمة هي أسواق خاصة بأهالي المنطقة ولا يقصدها أحد من بعيد، وهي غير مرهونة في انعقادها بموعد أو موسم معين، فقد تكون يوميًا أو أسبوعيًا مثل سوق الحزوره في مكة وسوق زبالة في يثرب، أما الأسواق الموسمية فهي الأسواق المرتهن انعقادها بموعد محدد أو موسم معين ، أي أنها كانت حولية تقام مره واحدة في السنة ، ويقصدها الناس من كل مكان ومن مختلف الفئات من تجار وأدباء وشعراء، فهي تعتبر ملتقى تجاري وثقافي وسياسي واجتماعي مثل سوق عكاظ.

مقدمة :

السوق في اللغة مكان البياعات، والبياعات هي السلع والأمتعة والعروض التي يتبايع بها في التجارة، وقد سمي موضع البياعات سوقاً، لأن البضائع تجلب إليه، وتساق نحوه. ويقال: تسوق القوم إذا باعوا واشتروا وابتغوا الرزق أو طلبوا المعاش ، (ابن منظور ب . ت ج8 ص5) ويقال: قامت السوق، وقيام السوق هو رواج بيوعها، ونامت السوق إذا كسدت، ويقال انعقدت السوق: أي انتظمت وبدأ فيها البيع والشراء، وقد وردت كلمة السوق في القرآن الكريم في قوله تعالى "وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق" (قرآن كريم . من سورة الفرقان الآية 7) أي يبتغي الرزق، فالسوق مشتقة أذن من سوق الناس بضائعهم إلى مكان معين لغرض البيع والشراء. (ابن منظور . ب . ت .ج12 ص497)

مما لا شك فيه أن العرب بصفة عامة وأهل الحجاز بصفة خاصة مارسوا مهنة التجارة استيراداً وتصديراً منذ القدم، وظل العرب الجنوبيين مسيطرين على زمام التجارة البرية والبحرية حتى أواخر القرن الخامس الميلادي عندما تدهورت حالة اليمن السياسية نتيجة للخلافات الدينية والسياسية ووقوعها تحت قبضة الاستعمار الحبشي عام 575م، فانتقلت الريادة التجارية إلى مكة، فعمل أبناء عبد مناف على تنظيم التجارة المكية وإخراجها من عزلتها، وقد ساعدهم عدة عوامل ساهمت بدور كبير في ازدهار النشاط التجاري ببلاد الحجاز داخلياً وخارجياً.

عوامل ازدهار التجارة وقيام الأسواق: –

ومن أهم عوامل ازدهار التجارة الداخلية ببلاد الحجاز، المكانة الدينية التي تمتعت بها، ووجود الكعبة، وإقامة شعائر الحج بها، فضلاً عن إقرار قصي بن كلاب لوظائف السدانة (*) والسقاية(*) والرفادة(**) التي أكسبت قريش احتراماً ومنزلة بين القبائل العربية من خلال رعاية بيت الله الحرام وقيامها على شؤون الحج الذي أعطى لمكة قداستها ومكانتها وجلب إليها الحجاج من كافة القبائل العربية (الشريف . 1965 . ص119) ، بالإضافة إلى الإجراءات الأمنية التي قامت بها قريش لتشجيع وتأمين التجارة، مثل إقرار الأمن والعدل في مكة لحماية التجار من النهب والسلب والظلم، حيث اتفقوا على الوقوف ضد كل شخص قد تسول له نفسه الإخلال بالأمن أو ظلم التجار الوافدين إليها حتى لا تتعطل الحركة التجارية أو تتناقص وهي مصدر رزقهم، ومن أجل ذلك عقد حلف الفضول (ابن كثير . 1932 .ج2 ص291) ، كذلك عمل قصي بن كلاب على إعادة الحرمة والهيبة للأشهر الحرم(***) التي اعتاد العرب على عدم الاقتتال فيها بعد أن ضعفت حرمتها بعض الشيء نتيجة لعدم التزام القبائل العربية باحترامها وخاصة أيام خزاعة، حيث أوردت المصادر التاريخية معلومات عن

(*) السدانة: هي رعاية بيت الله الحرام والقيام على إعداده للزائرين.

(*) تعتبر وظيفة السقاية من أهم الوظائف المكية لافتقار مكة إلى المياه، ومن مهام هذه الوظيفة توفير الماء لسقاية الحجاج.

(**) الرفادة: هي توفير الطعام لحجاج بيت الله الحرام.

(***) الأشهر الحرم هي رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، والمحرم.

انتهاك الحرمات والبغي بمكة خلال هذه الأشهر، وهذا ما أدى إلى تناقص إعداد الحجاج الوافدين إلى مكة نتيجة لفقدان الأمن، فأدرك قصي مدى خطورة ذلك، وعمل جاهداً على إقناع الناس بعدم انتهاك حرمة الأشهر الحرم، فازداد إقبال الناس من مختلف القبائل العربية للحج والتجارة إلى مكة (الأزرقي . 2002 ، ج1 ص179) ، كما عملت قريش على إقرار حلف الفضول الذي ينص على عدم السماح بالاعتداء أو ظلم التجار الوافدين لمكة (ابن كثير . 1932 .ج2 ص291) ، كذلك عملت قريش على تحقيق الوحدة والترابط الاجتماعي بين أفرادها، حيث لجأت إلى حل الخلافات والمنافسات الداخلية التي تنشأ بين أفرادها وعشائرها بالطرق السليمة للحفاظ على وحدة القبيلة التي تتطلبها ظروفها كقبيلة تجارية يسودها الأمن والاستقرار، والأمثلة على ذلك كثيرة منها نجاحها في حسم الخلاف الذي نشب بين بني عبد مناف وبني عبد الدار بالطرق السليمة بعد أن أوشكت الحرب أن تندلع بينهم (ابن الاثير .1987 ج1 ص350)، كما عملت قريش على تنصيب بعض ساداتها حكاماً لحسم الخلافات والمشاكل التي تنشب بين أفراد القبيلة تجنباً للصراعات الطائفية، وكان من اختصاص هؤلاء السادة فرض أقصى العقوبات على المتهم، وكانت أحكامهم قانونية ومعترف بها بين العشائر القرشية حتى أصبحت عرفاً سائداً بينهم، ومن أمثلة تلك العقوبات قطع يد السارق، ومن بين من نفذت عليهم هذه العقوبة رابضة بن خالد، وابن سريح بن الحارث من بني عبد الدار، وعبد الله بن عثمان من بني تميم، وفي حالة تكرار السرقة لمرات عدة من الشخص نفسه فإنه يرجم حتى الموت مثل مدرك بن عوف المخزومي الذي رجم حتى الموت بعد أن سرق عدة مرات (علي . 1976 .ج5 ص605) ، كذلك عاقبوا كل من حاول إثارة الفتن والفوضى بين أبناء المجتمع الحجازي بالنفي إلى خارج المنطقة، ومن أبرز من نفذ فيهم هذا الحكم حرب بن أمية، الذي نفي إلى بلاد الشام مدة عشر سنوات بعد منافرة بينه وبين هاشم بن عبد المطلب (علي .1976 . ج5 ص303).

كما أدركت قريش أهمية بناء علاقات مبنية على حسن الجوار والمصلحة المشتركة مع القبائل العربية، واتبعت سياسة المسالمة واللين والتفاوض في حل ما قد يعترضها من مشاكل سياسية أو اقتصادية مع القبائل الأخرى، ولذلك حرصت على عدم إثارة المشاكل، وعقدت إيلافات(*) مع زعماء القبائل الواقعة على طرق تجارة القوافل حتى تتمكن قوافلها من ارتياد مختلف المناطق في أمن وسلام (ابن بكار . 1381 هـ . ص374) .

كما كان للموقع الجغرافي دوراً هاماً في ازدهار النشاط التجاري ببلاد الحجاز، فقد حظي الحجاز بموقع جغرافي فريد جعله يتوسط طريق التجارة البرية القديمة بين اليمن والشام، كما أنه يطل على البحر الأحمر الذي توجد به عدة موانٍ منها ميناء الشعيبة القريب من مكة، وميناء الجار الواقع بالقرب من يثرب، حيث كانت ترسوا بهذه الموانئ السفن القادمة من الحبشة وعدن ومصر والصين والهند لتفريغ حمولتها.

(*) الإيلاف، هو أمان الطرق التجارية التي تمر بها القوافل المكية بدون حلف مقابل ربح معين يعطى لرؤساء القبائل. انظر، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف البقاعي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 2002، 364/1، الثعابي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، ثمار القلوب في المضاف المنسوب، مطبعة الظاهر، القاهرة: 1908، 120/1.

لقد تضافرت العوامل المذكورة سابقاً جميعاً وأدت إلى ازدهار التجارة في منطقة الحجاز، وهذا بدوره أدى إلى إقامة الأسواق وازدهارها، وتبادل عمليات البيع والشراء في ظل الأمن والاستقرار.

يكتسب موضوع الأسواق في بلاد الحجاز قبل الإسلام أهمية كبيرة نتيجة لازدياد النشاط التجاري في بلاد الحجاز خاصة مع بداية القرن السادس الميلادي ، حيث ازدهرت العديد من الأسواق الدائمة والموسمية التي كان لها دوراً هاماً في ازدهار حركة التبادل التجاري في بلاد العرب قبل الإسلام ، مما يعطي أضافة ولو بسيطة للتعريف بتلك الأسواق ودورها في الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية في منطقة الحجاز .

وتهدف الدراسة من خلال مجهود تجميعي لاراء المؤرخين المحدثين والقدامى الى دراسة الأسواق التي كانت قائمة ببلاد الحجاز قبل الإسلام والتعريف بها ، وتبيان دورها في الحياة الاقتصادية في منطقة الحجاز .

وتكمن الأشكالية المطروحة في التعريف بتلك الأسواق ودورها في حياة المجتمع الحجازي ومدى اسهامها في الازدهار الاقتصادي وحجم نشاطها التجاري ، وفقاً لتلك الإشكالية تقوم الدراسة على طرح فرضية أن الأسواق في بلاد الحجاز قبل الإسلام كان لها دوراً هاماً في حياة المجتمع الحجازي اقتصادياً وثقافياً ، كما أنها أسهمت في زيادة نشاط الحركة التجارية داخلياً وخارجياً .

وقد انقسمت الأسواق في منطقة الحجاز إلى نوعين، النوع الأول أسواق دائمة في المدن والقرى، والنوع الثاني أسواق موسمية عامة تقام في أيام معلومة من كل سنة.

الأسواق الدائمة:

وهي أسواق خاصة بأهالي المنطقة، ولا يقصدها أحد من بعيد، إلا إذا كانت سوق كبرى، وهي غير مقيدة في انعقادها بموعد أو موسم معين، فقد تكون يومية أو أسبوعية، ويمكن أن تقام في أي مكان ويتزود الناس منها بما يحتاجونه في حياتهم اليومية من مستلزمات معيشية، والأصل في هذه الأسواق أن تظل منعقدة للبيع والشراء طول أيام السنة أو معظمها أو أياماً معينة من الشهر أو الأسبوع، أو كلما وصلت إلى القرية أو البادية قافلة تحمل البضائع والسلع المختلفة فيقصدها أهل القرية للشراء، وكانت القوافل القادمة من السراة والطائف إذا دخلت مكة تحط في رحبة بين داري أبي سفيان وحنظلة بن أبي سفيان وتباع فيها حمولتها (العمري . 2000 . ص126). ولا يقصدها أحد من أماكن بعيدة، إلا إذا كانت سوقاً كبرى، ولهم فيها حاجة ملحة إلى سلعة ليس في مناطقهم مثلها، وليس في نشؤ هذه الأسواق ودوامها، غير قضاء حاجات الناس طلباً للرزق والمعاش، في عمل تجاري محض، لا ينبغي في أساسه أن يحقق أكثر من المصالح المادية للمتابعين (حمور . 1999 . ج1 ص210).

ويرى بيستون Beeston أن غالبية المدن تعتبر أسواقاً دائمة حيث يتم فيها التبادل التجاري اليومي من سلع استهلاكية أو صناعية، وقد يقتصر دورها على تبادل السلع بين أبنائها والمقيمين بها، أو بينهم وبين الذين يأتون إليها من المناطق المجاورة لقضاء حاجات الناس وطلب للرزق والمعاش في عمل تجاري محض (Beeston.1984 . p8).

وانطلاقاً من هذا الفهم فإنه كان في مكة أسواق دائمة مثل سوق الحزورة (*)، ويبدو أن هذه السوق كانت تقام يومياً للتبادل التجاري وخاصة مع القبائل القريبة من مكة، حيث كان أهالي تلك المناطق يأتون إلى مكة كل يوم تقريباً لبيع محصولاتهم الزراعية من حبوب وفواكه وغيرها من السلع، ويشترون بثمنها ما يحتاجون من سلع ينذر توفرها إلا في أسواق المدن (حمور . 1999 . ج1 ص215) .

ومن المرجح وجود أسواق ذات طابع تخصصي في مكة، تختص ببيع صنف معين، أي أن كل أصحاب مهنة أو حرفة تجمعوا معاً مكونين سوقاً فرعياً داخل السوق الكبير، مثل سوق العطارين (الأزرقي . 2002 ج2 ص248)، وسوق الحدادين (الأزرقي . 2002 ج2 ص256)، وسوق الرقيق(الأزرقي . 2002 ج1 ص81)، وسوق الغنم(الأزرقي . 2002 ج2 ص279)، وسوق الفاكهة، وسوق البزارين (حمور . 1999 . ج1 ص215) ، ولم يكن من الضروري أن تتجمع هذه الأسواق معاً في سوق واحد في مكة، فكل صنف له سوقه الخاص المنفصل عن الأسواق الأخرى.*

وكانت أسواق مكة تخضع لنظام المراقبة منعاً للغش والتدليس في البضائع التجارية عن طريق مراقب السوق، وكان أشهر من تولى هذا المنصب في مكة في عهد قريش حكيم بن أمية بن حارثة السلمي من قبيلة بني سليم (ابن حزم .1962 ص263) ، ولم يقتصر أمر حضور الأسواق في مكة على الرجال فقط، بل كانت النساء تذهب إلى الأسواق تبيع وتشتري، وقد زودتنا المصادر التاريخية بأسماء عدد من النساء اللائي مارسن التجارة مثل أم أنمار(الأصفهاني . الأغاني 1983 . ص22) ، وأم الحكم بن هشام التي كانت تبيع العطور في أسواق مكة (الفاكهي . 1991 ص317) .

وفي يثرب تطلبت عملية التبادل التجاري قيام مؤسسات تجارية تسهل العملية التجارية وتنظمها، فقامت لهذا الغرض الأسواق التي تعتبر الواجهة المعبرة عن الحركة التجارية في المدينة، ويرى هاشم الملاح أنه لم يكن في يثرب أسواق كثيرة حيث كانت الناس تبيع وتشترى في البيوت وبعض الساحات التي اتخذت أسواقاً، وهي لا تعدوا أن تكون فضاء ولا بناء فيه، والمكان لمن سبق (الملاح .1994 ص348)، ومن أهم أسواق يثرب سوق زبالة، ويقع شمال يثرب عند كومة أبي الحمراء، وسميت بزبالة لحفظها الماء، وقيل أنها سميت بذلك على زبالة بنت مسعود من العماليق التي نزلت هذا الموضع فسميت باسمها (العباسي . ب ت . ص332) ، والأرجح أن التفسير الأول أقرب إلى تسميتها بهذا الاسم ولم تمدنا المصادر التاريخية بالمعلومات الكافية عن حالة سوق زبالة الثقافية، أي بمعنى هل كان منتدى للشعر والخطابة مثل سوق عكاظ؟ ويبدو أنه كان سوقاً مقتصراً على عمليات التبادل التجاري فقط لعدة اعتبارات منها عدم ورود نص في المصادر التاريخية والأدبية يفيد بأن القصائد الشعرية والخطب الأدبية كانت تلقي أثناء انعقاده، كذلك موقع سوق زبالة في منطقة سكنية ذات كثافة منخفضة في منطقة تعرف بالسافلة، وأكثر السكان قديماً كانوا يرغبون في السكن المرتفع من الأرض لطيب نسيمه والابتعاد عن مخاطر السيول. وكان من نتيجة ذلك قلة حضور الناس للسوق. وهذا ما كان يتحاشاه الشعراء لأنهم كانوا يحرصون على وجود العدد الأكبر من الناس ليتناقلو أشعارهم ولذلك يبدو أن هذا السوق كان من الأسواق الدائمة في يثرب.

(*) أدخلت هذه السوق الحرم المكي بعد توسيعه، انظر، حسين عبد الله بإسلامه، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ط3، جدة، 1400هـ/1981، ص125.

وهناك عدة أسواق أخرى بيثرب لم تزودنا المصادر التاريخية بالمعلومات الكافية عنها مثل سوق مزاحم الذي يقع قرب أطم مزاحم الذي كان يملكه سيد الخزرج عبد الله بن أبي سلول (الخطرواي . 1982 . ص127) ، وسوق صفاصف الواقع بالعصبة من ناحية قباء (ابن شباء . 1979 . ص304) ، وسوق بقيع الخيل قرب البقيع الذي كان بنو سليم يجلبون إليه الأقط والسمن والخيل والغنم والإبل، وأكثر ما يباع في هذا السوق الحيوانات (الشريف . 1965 . ص366).

ولم تكن أسواق يثرب توجد بها مراقبة مفروضة على البيع والشراء وضبط الموازين، ويرجع ذلك إلى عدم وجود هيئة حكومية قادرة على فرض مراقبة الأسواق، وإنما كانت يثرب تعيش نظم الحياة القبلية، ولذلك وقع الكثير من الناس في يد المحتالين والغشاشين، ومن وسائلهم في ذلك أن يزيد الشخص في سعر السلعة أكثر من ثمنها ولا يشتريها ولكن ليغري الناس بشرائها، كما كان تجار يثرب يتلقون الركبان خارج المدينة فيشترون منهم بضائعهم قبل أن يصلوا إلى السوق ليحتكروا بيعها بأثمان عالية، وكانوا يبلون الحنطة والشعير ليكثر كيلها، ويخفون السلعة الرديئة داخل السلعة الجيدة (الشريف . 1965 . ص368) ، ويذكر الواقدي، أنه كان يثرب قبل الإسلام رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالأخر (الواقدي . 1984 . ص209) ، فأنزل الله تعالى قوله: (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) (قرآن كريم . من سورة المطففين الآية 1-3) .

ولما كانت الحياة السياسية في يثرب قائمة على أساس أن كل قبيلة تؤلف جماعة مستقلة في ظل غياب حكومة جامعة، فإن هذه الحالة انعكست على نظام الأسواق أيضاً، حيث كان سوق صفاصف سوقاً للأوس، وسوق بني قينقاع سوقاً لليهود، وسوق مزاحم سوقاً للخزرج، فكان أغلب ما يرتاد هذه الأسواق أبناء القبيلة الواقعة في نطاقها هذه الأسواق.

الأسواق الموسمية: –

يقصد بالأسواق الموسمية الأسواق التي تنعقد في موعد معين ومحدد، أي أنها كانت حوليه تقام مرة واحدة في السنة في أيام معلومة ثم تنفض بانقضائها، ومن ميزة هذه الأسواق أنها كانت تقام بالقرب من المراكز الحضرية والتجارية، وفي أماكن فسيحة يتوفر فيها الماء، ولذلك كان العرب حريصين على حضور هذه الأسواق التي كانت بمثابة مهرجانات موسمية، وقد تميزت الأسواق الموسمية بمنطقة الحجاز بميزتين جعلتها أكثر ازدهاراً وأماناً، الميزة الأولى أمنية لأنها تقام خلال الأشهر الحرم التي حرم فيها العرب القتال وسفك الدماء "فكانوا يجتمعون بها في تجارتهم، ويجتمع فيها معهم سائر الناس ويأمنون فيها على دمائهم وأموالهم" (الأصفهاني .1983 . ج22 ص62) ، والميزة الثانية أنها أسواق عربية خالصة في البيع والشراء والمعاملات، ولا يشرف عليها حاكم أجنبي ولا يعشرها حاكم ولا غيره لأنها لم تكن في أرض مملكة، ويفتتح هذه الأسواق ويشرف عليها شخص يسمى إمام الموسم (الأزرقي .2002 . ج1 . ص190) ، ولذلك حرص أغلب العرب من مختلف المناطق ومن مختلف الفئات من تجار وأدباء وشعراء وخطباء وغيرهم على حضورها لأنها كانت بمثابة ملتقى تجاري وثقافي واجتماعي وسياسي.

سوق عكاظ:

كان سوق عكاظ مؤسسة كبرى للتجارة، وتظاهرة ثقافية ورياضية واجتماعية عظمى، وقد اختلفت المصادر التاريخية في تحديد موقعه، فالحلبي حدد مكانه بين الطائف ونخله (الحلبي . 1329 هـ ج1 . ص106) ، بينما أعتقد الأصفهاني أن عكاظ قام في وادٍ بين الطائف ومكة على مسافة من الطائف تقدر سيراً على الأقدام بليلة واحدة، وبينه وبين مكة مسيرة ثلاث ليالٍ (الأصفهاني .1968 . ج22 ص 31-32) ، أما الأزرقي فيذكر بأن سوق عكاظ يقع وراء المنازل بمرحلة عن

طريق صنعاء في عمل الطائف (الأزرقي . 2002 .ج1 .ص190) ، ويكاد يوافق سعيد الأفغاني فيما ذهب إليه الأزرقي والأصفهاني في تقديرهما لموقع السوق وقربها من الطائف بمسيرة مرحلة واحدة ومرحلتين عن مكة، وتقام في مكان يعرف بالاثيداء (الأفغاني . 1960 . ص286) ، بينما يذهب ناصر بن سعد الرشيد إلى أن سوق عكاظ في أرض قبيلة هوزان وثقيف، وهي الغالبة فيه ولها دور في تنظيمه (الراشيد 1397هـ ص28) ، ومن خلال الأرآء السابقة يتبين لنا أن الأكثرية من المؤرخين ترى أن سوق عكاظ يقام في أعالي نجد وأنه أقرب إلى الطائف من مكة.

وكما اختلف المؤرخون في تحديد مكان سوق عكاظ فقد اختلفوا كذلك في موعد انعقاد هذه السوق، فالبكري يرى أن سوق عكاظ كانت تنعقد في بداية شهر ذي القعدة وتستمر لمدة عشرين يوماً (البكري . 1977 . ج2 ص958) ، ويتفق ابن عبد ربه مع البكري في موعد انعقاد السوق فيقول: "وكانت سوق عكاظ تقوم في أول يوم من ذي القعدة" (ابن عبد ربه . 1990 ج5. ص153) ، أما المرزوقي فيقول: "بأنها تقام في النصف من ذي القعدة وتستمر حتى بداية ذي الحجة" (الأصفهاني . الأزمنة والأمكنة . 1332 هـ .ج2 ص7)، ويرى النويري أن موعد انعقاد سوق عكاظ كان في يوم من ذي القعدة وتستمر إلى بداية موسم الحج (الأصفهاني . الأغاني .1983 ج22 . ص64) ، أما ابن حبيب فيقول: " كانت تقوم في النصف من ذي القعدة إلى آخر الشهر" (ابن حبيب .1942 . ص267) ، ويرى الفاسي أن سوق عكاظ تنعقد في يوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً (الفاسي . ب ت . ج1 .ص213) .

وفي محاولة للتوفيق بين الآراء المتضاربة حول موعد انعقاد السوق خرج سعيد الأفغاني برأي محدد استناداً إلى الأشهر الحرم التي يأمن فيها الناس ويحجون بيت الله الحرام، وكانت على الأغلب في ذي القعدة حتى غرة ذي الحجة عندما تنقضي السوق وينقلب أهلها لممارسة طقوسهم الدينية (الأفغاني .1960 ص290)، ويبدو أن رأي سعيد الأفغاني هو الأقرب للحقيقة بشأن موعد بداية انعقاد السوق ومدته، وإذ أخذنا في الاعتبار أن موعد سوق عكاظ كان مرتبط بالحج، لأن هذا السوق في الواقع ما هو إلا استعداد للحج ، فكانت العرب وقريش تقول: "لا تحضروا سوق عكاظ ومجنة وذي المجاز إلا محرمين بالحج" (الأزرقي . 2002 . ج1 ص192)، وعلى هذا الأساس، فقد تتأخر إقامة السوق أحياناً طبقاً لموعد بداية الحج، وقد أشار ابن حبيب إلى هذا الارتباط بقوله: "فإن كان الحج في المحرم قام سوق عكاظ في صبيحة ذي الحجة فتقوم عشرين يوماً بعكاظ" (ابن حبيب . المنمق في أخبار قريش . 1964 .ص274) .

أما متى أقيمت هذه السوق؟ فالمصادر التاريخية لم تمدنا بمعلومات قاطعة ومحددة عن تاريخ بدايتها، فالبكري يقول إنها: "أقيمت بعد سقوط اليمن بخمسة عشر سنة" (البكري . معجم ما استعجم . 1983 . ج2 ص959)، أي إنها أقيمت عام 540م، ويرى آخرون أنها أقيمت بعد عام الفيل بخمسة عشر عاماً وهذا يعني أنها أقيمت سنة 585م، ولكن المتمعن في الأحداث التاريخية التي حدثت بسوق عكاظ يدرك أنها أقيمت قبل هذا التاريخ بما يقارب من نصف قرن وذلك استناداً إلى حادثة حضور امرؤ القيس المتوفي سنة 540م سوق عكاظ ومشاركته فيها بمعلقته الفائزة بجائزة سوق عكاظ والتي لهجت بها الألسن إلى يومنا هذا.

ومما ساعد على ازدهار هذه السوق توفر الأمن بها، حيث كانت تنعقد في الأشهر الحرم التي كانت العرب تحرم فيها سفك الدماء فيأمن الناس فيها على أنفسهم وممتلكاتهم، وحرصاً على استتباب الأمن في السوق فقد كان أفراد القبائل العربية عندما يأتون إلى سوق عكاظ يلزمون بتسليم أسلحتهم إلى عبد الله بن جدعان القرشي فتبقى الأسلحة عنده حتى ينتهي الناس من تسوقهم فيعيدها إليهم (الأصفهاني . الأغاني . 1983 .ج22 ص66) ، وفضلاً عن ذلك فقد تميزت هذه السوق بقربها من مكة وقرب موعد انعقادها من موسم الحج (ابن حبيب . المحبر .1962 ص267) ، وهذا ما شجع الناس على

التوجه إليها للتجارة، ثم التوجه بعدها إلى أسواق مجنة وذي المجاز ثم ينتهي بهم المطاف إلى الحج، وكذلك تميزت بكونها سوق حرة، أي لا يدفع التاجر ضرائب على بضاعته، ولذلك حرصت أغلب القبائل العربية على حضورها، حيث كان يحمل إليها كل بلد تجارته وصناعته وإنتاجه الزراعي (كستر .1975 . ص36) ، وكان القريشيون من أحرص الناس على حضور سوق عكاظ لتسويق بضائعهم المستوردة من الشمال والجنوب، وقد حضرها في أحد المواسم تسعون ألفا من قريش وأحلافها فقط، وفي ذلك يقول الشاعر الأسدي: (ابن حبيب. المنمق في اخبار قريش .1964 ص206) .

يا قوم قد وافي عكاظ الموسم

تسعون ألفاً كلهم ملأم

ويبدو أن حضور العرب لسوق عكاظ كان يخضع لظروفهم وأحوالهم السياسية، ففي بعض السنوات يزدحم السوق، وفي سنوات أخرى يقل عدد الحضور، وأحياناً يزيد عما يتوقع، وكانت سنة 35 من عام الفيل من أشد السنوات ازدهاراً للسوق وذلك من خلال الحضور المكثف، ففي هذه السنة يقول المرزوقي: "قلما دخلت سنة خمس وثلاثين من عام الفيل، وذلك قبل المبعث بخمس سنين حضر السوق من نزار اليمن ما لم يروا أنه حضر مثله في سائر السنين فباع الناس ما كان معهم من إبل وبقر ونقد وابتاعوا أمتعة مصر والشام والعراق" (الأزرقي .2002 . ج2 ص168)

ومما شجع الناس على شد الرحال لهذه السوق أنها كانت سوقاً حرة أي معفوة من أية ضرائب أو مكوس، ويرجح جواد علي سبب عدم فرض ضرائب أو مكوس على تجار عكاظ إلى تأثير قريش على قبيلة تميم، التي كانت تشرف على هذه السوق وتنظمها، ورغبتها في عدم فرض ضرائب أو مكوس على تجار سوق عكاظ حتى يقصده أكبر عدد من الناس، لتضمن بعد ذلك مجيئهم إلى أسواق مكة مثل مجنة وذي المجاز ثم حضور موسم الحج، فيتعارفون عليهم ويكونون معهم علاقات تجارية وثيقة تؤمن مرور قوافلهم في أراضيهم بدون مشاكل. (علفي.1976 . ج3 . ص275) .

وكان أشراف العرب يرسلون عيرهم إلى عكاظ فتباع لهم لطائمهم ويشترون بثمنها بضائع أخرى، ومن هؤلاء النعمان بن المنذر ملك الحيرة الذي كان يرسل ما يعرف باللطيمة، وهي قافلة تجهز من بلاد فارس وترسل إلى سوق عكاظ تحمل مختلف البضائع من طيب وأسلحة وملابس،،،إلخ، وأحياناً كانت بعض القبائل تعتدي على اللطائم بالنهب والسلب كما حدث لقافلة النعمان بن المنذر التي سلبتها قبيلة بن عامر، مما تسبب في نشوب حرب بينهما عرفت بحرب يوم السلان (الجميلي . 2002 . ص92) .

وقد كانت سوق عكاظ أيضاً ملتقى للأدباء والشعراء يتبارون فيها بقصائدهم وخطبهم النثرية بإشراف محكمون في اللغة والشعر والأدب من مختلف القبائل العربية، فيعرض الشعراء والأدباء عليهم شعرهم وأدبهم ويصدرون حكمهم الفاصل، فما أجازوه منها فهو الجيد وما رفضوه فهو الرديء، وحول المحكمين يجتمع الرواة والشعراء من مختلف القبائل العربية، فالقصيدة الفائزة في التحكيم تتناقل بين الرواة والشعراء وتنتشر بين مختلف القبائل، وتكتب بماء الذهب وتعلق على جدران الكعبة (علي . 1976 . ج7 .ص379).

بالإضافة إلى الجانب التجاري والثقافي، فقد كانت سوق عكاظ ملتقى لندوات سياسية تحسم فيها الخلافات بين القبائل العربية، كذلك من أراد إجارة شخص هتف بذلك في سوق عكاظ حتى يسمعه أغلب الناس (الأفغاني .1960

.ص244) ، ومن له أسير سعى إلى فدائه في سوق عكاظ (التوحيدي .ب .ت . ج1 ص85) ، ومن كانت له أتاوى على قوم من العرب نزل في عكاظ فجاءوه بها، ومن أراد تخليد نصر لقبيلته جاء إلى عكاظ، وقال فيه شعراً (الافغاني .1960 .ص282) ، وإذا أرادت قبيلة خلع أحد أفرادها خلعته في سوق عكاظ حتى لا تتحمل جرائره ولا تطالب بجريرة أحد عليه، وقد خلعت خزاعة أحد أفرادها في سوق عكاظ، وهو قيس ابن الحدادية عندما كثرت جرائره (الأصفهاني . الأغاني . 1983 ج12 ص20).

سوق مجنة: –

تقع سوق مجنة في الظهران (الأصفهاني . بلاد العرب . 1968 ص32)، بأسفل مكة بأرض قبيلة كنانة (الفاسي . ب.ت .ج1. ص214) وتطل على جبلا شامه وطفيل، ولا تبعد عن مكة إلا بضعة كيلومترات (الحموي .1907.ج5 .ص158) ويقام سوق مجنة بعد انقضاء سوق عكاظ ولمدة عشرة أيام (الحلبي . 1329 هـ .ج1 .ص106) ، ويعتبر سوق مجنة امتداداً لسوق عكاظ، فمن فاته حضور سوق عكاظ أو فاته عرض استوفاه من سوق مجنة، ومن بقي عنده عروض التجارة عرضه للبيع فيها، وممن تاجر بهذه السوق أبو سفيان، وكانت سوق مجنة معفوة من الضرائب والعشور مثل سوق عكاظ (حمور . 1999 . ج2.ص305).

سوق ذي المجاز: –

يقع سوق ذي المجاز بالقرب من مكة خلف جبل عرفة (الأصفهاني . الأغاني . 1983 ج22 ص32) بأرض هذيل (الأزرقي .2002 . ج1 . ص191)، ويسمى بسوق ذي المجاز لأن إجازة الحاج تبدأ منه(الأزرقي .2002 . ج1 . ص188)، ويقصدها العرب بعد انتهاء موسم سوق مجنة، ويقيمون بها حتى اليوم الثامن منه ثم يذهبون إلى الحج (المحبر .1942. ص267) ، وهي آخر أسواق مواسم الحج، حيث كانت العرب لا تبيع ولا تشتري بعرفة وأيام مني (الفاسي . ب.ت .ج1 .ص212) ، وبالإضافة إلى التجارة كان الشعراء يلقون قصائدهم بسوق ذي المجاز، وفضلاً عن التفاخر وفداء الأسرى، كان صاحب الثأر يتربص بغريمة في السوق حتى ينقضي ويخرج منه فيتبعه ويأخذ منه ثأره (علي .1976 . ج7 .ص380) .

سوق حباشة: –

يقع سوق حباشة في منطقة تهامة جنوب مكة مسافة ست ليالٍ على طريق مكة اليمن في وادي بارق (الأفغاني .1960 .ص258) ، وأصحابها الأزد (الأزرقي .2002 .ج1 . ص191) ، وتقام في شهر رجب (علي . 1976 . ج7 .ص376). ، وكان سوق حباشة تلتقي فيه العرب من مختلف قبائلها للبيع والشراء، وازدهرت السوق بمختلف أنواع البضائع من حيوانات ومنتجات زراعية ومختلف المصنوعات، والرقيق، ويذكر السهيلي أن أم المؤمنين خديجة بنت خويلد اشترت زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم من سوق حباشة (السهيلي . 1971 . ج 1 . ص286)، وممن تاجر في هذه السوق محمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه حينما استأجرته السيدة خديجة بنت خويلد للاتجار في مالها، واستمرت هذه السوق قائمة حتى سنة 197ه (الأزرقي .2002 .ج1 .ص192) ، ثم اندثرت كبقية الأسواق.

سوق بني قينقاع: –

ويسمى سوق الجسر، وسمي بذلك لقربه من جسر وادي بطحان (الشريف .1965 .ص365) ، وأهم ما كان يباع فيه مصنوعات اليهود من حُلي ذهبية وفضية وأسلحة (إدريس .1399 هـ . ص208) ، ومن الملاحظ أنها كانت سوقاً عظيمة تومها العرب من كل مكان وتكثر فيها الحركة التجارية، وتسمع فيها ضجة البيع والشراء من بعيد، وقد أتاها النابغة الذبياني ذات مرة فخاصت به ناقته وكادت أن توقعه من فوقها من شدة ضجيجها (الأصفهاني . الأغاني .1983.ج1. ص12) ، ولم تمدنا المصادر التاريخية بمعلومات عن موعد انعقادها.

ولم تكن سوق بني قينقاع مقتصرة على مزاولة البيع والشراء، بل كانت منتدى شعرياً وخطابياً يرتادها كبار الشعراء والخطباء يتطارحون فيها القصائد الشعرية والخطب الأدبية، ومن أبرز الشعراء الذين كانوا يأتونها حسان بن ثابت والنابغة الذبياني والربيع بن حقيق (الخضراوي . 1982 . ص27).

سوق بدر: –

سميت سوق بدر لقربها من قرية بدر، وكانت موسماً من مواسم العرب كل عام (الأزرقي .2002 .ج1 .ص195)، ويقع السوق بين مكة ويثرب أسفل وادي الصفراء وهو إلى يثرب أقرب، بينه وبين مرفأ الجار مسيرة يوم وليلة، وبينه وبين المدينة مسير نحو أربعة أيام (الصالحي .1997 .ج4 .ص120) ، وكان يقصده الناس من مكة ومن الأماكن القريبة للتجارة والنتره، فكانوا ينحرون ويطهون ويشربون ويسمعون الغناء (الأزرقي .2002. ج1 .ص190) ، ويرى عرفان حمور أن موعد انعقاد سوق بدر كان سنوياً في اليوم الثامن من شهر شعبان لمدة ثمانية أيام وينتهي السوق في اليوم الخامس عشر منه (حمور.1999 . ج2 . ص130).

وقد أفادت هذه الأسواق التجار المكيين الذين كانوا حريصين على حضورها ليتزودوا منها بمنتجات الشرق الأقصى وشرق أفريقيا، ثم يقوموا بإعادة تصديرها عن طريق القوافل البرية إلى مختلف أسواق العرب. وكانت هذه الأسواق: – عكاظ، مجنة ذي مجاز، حباشة – تقع في مناطق لا نفوذ للأجنبي عليها، وتحت إشراف القبائل العربية، ولذلك كانت هذه الأسواق مرآةً العرب من حيث عاداتهم في البيع والشراء والحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية، بعكس الأسواق العربية في شمال شبه الجزيرة العربية الواقعة تحت النفوذ الروماني مثل أسواق بصري وغزة وأيلة.

الخاتمة

نتيجة لازدهار النشاط التجاري في منطقة بلاد العرب بصفة عامة ، ومنطقة الحجاز بصفة خاصة ، ظهرت الأسواق ابتغاء للرزق وقضاءً للحاجات ، وكان يومها العرب قاطبة من مختلف أنحاء الجزيرة العربية ، وتعرض فيها جميع أنواع البضائع المحلية والمستوردة ، بالإضافة إلى الجانب التجاري كانت لهذه الأسواق برنامجاً ثقافياً تمثل في القاء القصائد الشعرية والخطب الأدبية ، التي كان لها دوراً هاماً في إثراء الحركة الأدبية والفكرية بشبه الجزيرة العربية قبل الإسلام .

وانقسمت الأسواق في منطقة بلاد الحجاز إلى نوعين ، النوع الأول : عرف بالأسواق الدائمة وهي التي تقام في المدن والقرى أما بصفة يومية أو أسبوعية ، أما النوع الثاني : فعرف بالأسواق الموسمية وتقام مرة واحدة في السنة في أيام معدودة ، وقد تميزت الأسواق الموسمية عن الأسواق الدائمة بأنها لم يقتصر نشاطها على التبادل التجاري فحسب ، بل كان لها اسهامات ثقافية واجتماعية وسياسية مثل سوق عكاظ .

لم تخل أسواق بلاد الحجاز من التنظيم في هذه الفترة ، وهو ما ساعد على رواج تجاراتها الداخلية ، فكانت الأسواق حسنة التنظيم ، حيث خصص لكل تجارة ناحية خاصة بها داخل السوق الكبير ، وكانت أسواق مكة تخضع لرقابة المحتسب الذي كان من مهامه مراقبة المكاييل والموازين ، والحكم بين أصحاب المهن فيما يقع بينهم من خلاف وخصومة ، أما أسواق يثرب فلم تكن تخضع للرقابة ، ولذلك عرفت بتطفيف الكيل والميزان .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

1- القرآن الكريم برواية قالون عن نافع المدني .

2- ابن الأثير . ابوالحسن علي ابن أبي الكرم . الكامل في التاريخ . تحقيق أبي الفداء عبدالله القاضي . دار الكتب العلمية . بيروت :1987 .

3- البلاذري . ابي العباس أحمد بن يحي بن جابر .فتوح البلدان . تحقيق عبدالله أنيس الطباع . مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت: 1987.

4- ابن بكار . أبو عبدالله الزبير . جمهره انساب قريش وأخبارها . تحقيق محمد محمود شاكر . مطبعة المدني . القاهرة :1981ه

5- البكري . عبدالله بن عبدالعزيز . جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك تحقيق ودراسة عبدالله يوسف الغنيم . دار ذات السلاسل . الكويت: 1977

6- البكري . عبدالله بن عبدالعزيز .معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع . تحقيق مصطفى السقا .بيروت: 1983

7- التوحيدي. أبوحيان . الإمتاع والمؤانسة . صححه احمد امين ، أحمد الزين ، منشورات المكتبة العصرية . بيروت . لبنان : ب .ت.

8- الثعالبي . أبو منصور عبدالملك بن محمد . ثمار القلوب في المضاف والمنسوب . مطبعة الظاهر . القاهرة: 1908.

9- ابن حبيب . أبو جعفر محمد بن حبيب بن امية . كتاب المحبر تحقيق إيلزة ليختن شتيتر الهند .حيدر أباد الدكن : 1942

10- ابن حبيب . أبو جعفر محمد بن حبيب بن امية .المنمق في أخبار قريش . تحقيق خورشيد أحمد فاروق . الهند حيدر أباد الدكن : 1964

11- ابن حزم. أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي . جمهرة أنساب العرب . دار المعارف . القاهرة: 1962

12- الحلبي . علي بن برهان الدين . من إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المعروفة بالسيرة الحلبية . المطبعة الأزهرية . مصر: 1329ه .

13- الحموي .شهاب أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله. معجم البلدان . دار صادر. بيروت: 1907.

14- الأزرقي . أبوالوليد محمد بن عبدالله . أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. تحقيق رشدي الصالح ملحس . مكتبة الثقافة . مكة المكرمة : 2002.

15- السهيلي. أبوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله الخثعمي. الروض الأنف. ب.ت . القاهرة: 1971.

16- ابن شبة . أبوزيد عمر النيمري . تاريخ المدينة المنورة . تحقيق فهيم محمد شلتوت .ب.ت مكة: 1979.

17- الأصفهاني . ابوالفرج علي بن الحسن . الأغاني . تحقيق واشراف لجنة من الأدباء . الدار التونسية للنشر . تونس . دار الثقافة بيروت: 1983.

18- الأصفهاني . الحسن بن عبدالله . بلاد العرب تحقيق حمد الجاسر . صالح العلي . منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة . الرياض: 1968.

19- الأصفهاني . الحسن بن عبدالله . الأزمنة والأمكنة . مطبعة حيدر أباد الدكن . الهند : 1332ه.

20- ابن عبدربه . شهاب الدين أحمد بن محمود . العقد الفريد . تقديم خليل شرف الدين . دار مكتبة الهلال . بيروت :1990.

21- الفاسي . تقي الدين محمد بن علي المكي . العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين . تحقيق فؤاد سيد . مطبعة السنة المحمدية . القاهرة : ب.ت .

22- الفاكهي . ابي عبدالله محمد إسحاق بن عباس . أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه . تحقيق عبدالمالك بن عبدالله . دار خضير للطباعة والنشر بيروت :1991.

23- ابن كثير . عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر . البداية والنهاية . المطبعة السلفية . القاهرة :1932.

24- المسعودي . أبو الحسن علي بن الحسين . مروج الذهب ومعادن الجوهر . تحقيق يوسف البقاعي . دار أحياء التراث العربي بيروت :2002.

25- ابن منظور . أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم . لسان العرب. دار صادر بيروت . ب.ت .

26- الواقدي . ابوالحسن علي بن أحمد . أسباب النزول . تحقيق السيد أحمد صقر . دار القبلة للثقافة الإسلامية . السعودية : 1984.

ثانياً : المراجع

1- إدريس . عبدالله عبد العزيز . مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . جامعة الملك سعود . الرياض . 1399ه.

2- باسلامه . حسين عبدالله . تاريخ عمارة المسجد الحرام . جدة: 1400ه.

3- الجميلي . خضير عباس . قبيلة قريش وأثرها في الحياة العربية قبل الإسلام . منشورات المجمع العلمي . بغداد :2002.

4- حمور . عرفان محمد . مواسم العرب الكبرى . مؤسسة الرحاب الحديثة بيروت : 1999.

5- الخطراوي . محمد العيد. المدينة في العصر الجاهلي . مؤسسة علوم القرآن. دمشق: 1982.

6- الرشيد . ناصر بن سعيد . سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام . تاريخ نشاطه وموقعه . دار الأنصار . القاهرة : 1397ه

7- الشريف .أحمد إبراهيم . مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم . دار الفكر العربي . القاهرة : 1965

8- علي . جواد . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام . دار العلم للملايين . بيروت مكتبة النهضة بغداد : 1976.

9- العمري . عبدالعزيز بن إبراهيم . الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم . دار شبيليا . الرياض : 2000.

10- الأفغاني . سعيد . أسواق العرب في الجاهلية والإسلام . دار الآفاق العربية . دمشق : 1960.

11- الملاح . هاشم . الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام . دار الكتب للطباعة والنشر . الموصل : 1994.

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

1- Beeston .A.F.I .Some features of social Structure in Studies in the history of Arabia . University press Riyadh 1984.